الفصل الثالث

كيف كان السلف الصالح مع آل البيت؟

في تاريخ صحابة رسول الله ﷺ نرى عجباً ، من شدة ما كانوا ينظرون بكل حب واحترام لآل بيت رسول الله ، لأن عمود آل البيت هو الحبيب محمد ﷺ ، من ذلك ما رواه الإمام مسلم عن يزيد بن حيان قال : انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمرو بن مسلم إلىٰ زيد بن أرقم رضي الله عنه ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً!! رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصلّيت خلفه ، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً!! حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ، قال : يا بن أخي ، والله لقد كبرتْ سِنّي ، وقَدُم عهدي ، ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أعي عن رسول الله ﷺ ، فماحدَّثتكم فاقبلوا ، وما لا فلا تكلفونيه ، ثم قال : قام رسولُ الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعىٰ (خُماً) بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ووعظ وذكّر ثم قال :

« أما بعد : ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتابُ الله فيه الهدىٰ والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغّب فيه ، ثم قال : « وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » .

فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال : نساؤه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حُرم الصدقة بعده ، قال : ومن هم؟

قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس ، قال : كل هؤلاء حُرم الصدقة .

قال : نعم .

ومن ذلك ما رواه ابن عساكر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : كان النبي ﷺ إذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه ، وعمر عن يساره ، وعثمان بين يديه وكان كاتب سرّ رسول الله ، فإذا جاء العباس بن عبد المطلب تنحّىٰ أبو بكر وجلس العباس مكانه[1] .

وأخرج ابن عساكر عن ابن شهاب قال : كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في ولايتهما لا يلقىٰ العباس منهما واحد وهو راكب إلا نزل عن دابته وقادها ، ومشىٰ العباس حتى بلّغه منزله أو مجلسه ، فيفارقه[2] .

وأخرج أحمد والطبراني عن رباح بن الحارث قال : جاء رهط إلىٰ علي رضي الله عنه بالرّحبة ـ محل بالكوفة ـ قالوا : السلام عليك يا مولانا ، فقال : كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا : سمعنا رسول الله ﷺ يوم غدير خّم يقول :

« من كنت مولاه فهذا مولاه » قال رباح : فلما مضوا تبعتهم

---

(١) منتخب كنز العمال : ٥/ ٢١٤ .

(٢) كنز العمال : ٧/ ٦٩ .

فقلت : من هؤلاء؟ قالوا : نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري[1] .

وأخرج ابن عساكر عن عروة رضي الله عنه أن رجلاً وقع في عليّ بمحضر من عمر رضي الله عنهما ، فقال عمر : تعرف صاحب هذا القبر ، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب لا تذكر علياً إلا بخير ، فإنك إن آذيته آذيت هذا في قبره[2] .

وأخرج أحمد عن عبد الله الجدلي قال : دخلت علىٰ أم سلمة رضي الله عنها فقالت ليَ :

أيُسب رسول الله ﷺ فيكم؟ قلت : معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها .

قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سبّ علياً فقد سبني »[3] .

وأخرج ابن عساكر عن أبي البختري قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب علىٰ المنبر ، فقام إليه الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فقال : انزل عن منبر أبي ، قال عمر : منبر أبيك لا منبر أبي ، من أمرك بهذا؟

فقام علي رضي الله عنه فقال : ما أمره بهذا أحد! أما لأوجعنّك يا غُدَر! فقال : لا توجع ابن أخي فقد صدق منبر أبيه[4] .

وأخرج أحمد عن عمير بن إسحاق قال : رأيت أبا هريرة رضي الله عنه لقي الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال له : اكشف عن بطنك

---

(١) مجمع الزوائد : ٩/ ١٠٤ .
(٢) منتخب كنز العمال : ٥/ ٤٦ .
(٣) مجمع الزوائد : ٩/ ١٣٠ .
(٤) كنز العمال : ٧/ ١٠٥ .

حيث رأيت رسول الله ﷺ يقبّل منه ، فكشف عن بطنه فقبّله[1] .

وأخرج الطبراني عن المقبري قال : كنا مع أبي هريرة رضي الله عنه فجاء الحسن بن علي رضي الله عنهما فسلّم فرد عليه القوم ، ومعنا أبو هريرة رضي الله عنه لا يعلم ، فقيل له : هذا حسن بن علي يسلّم ، فلحقه فقال : وعليك يا سيدي ، فقيل له : تقول : يا سيدي ، فقال : أشهد أن رسول الله ﷺ قال : « إنه سيد »[2] .

وأخرج ابن عساكر عن عمار بن أبي عمار أن زيد بن ثابت رضي الله عنه ركب يوماً ، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه ، فقال : تنحّ يا بن عم رسول الله ﷺ ، فقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا ، فقال زيد : أرني يدك ، فأخرج يده ، فقبّلها فقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل نبينا[3] .

كل هذا الحب لآل البيت كان سببه ما سمعه الصحابة الكرام من فم سيدنا رسول الله ﷺ ، مثال ذلك : « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا أهل بيتي بحبّي »[4] .

---

(١) مجمع الزوائد : ٩/ ١٧٧ ، كنز العمال : ٧/ ١٠٤ .

(٢) مجمع الزوائد : ٩/ ١٧٨ ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٦٩ .

(٣) طبقات ابن سعد : ٤/ ١٧٥ ، الإصابة : ٢/ ٣٣٢ ، كنز العمال : ٧/ ٣٨ ، وللتوسع يراجع : الرياض النضرة للمحب الطبري : ٢/ ١٩٩ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : ٢/ ١١٠ ، المناقب لابن المنازلي : ٢٤٢ ، ذخائر العقبى للمحب الطبري : ٦٤ ، الخصائص للنسائي : ٢٠٩ ، العقد الفريد لابن عبد ربه : ٥/ ٥٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٧٠ ، تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري : ٢/ ١١٧٢ .

(٤) سنن الترمذي : رقمه (٣٧٨٩) ، مستدرك الحاكم : ٣/ ١٦٢ ، الطبراني في الكبير : ٣/ ٣٩ .

وروىٰ أبو هريرة أنه سمع النبي صلوات الله عليه يقول : « خيركم خيركم لأهلي من بعدي » .

وأخرج الطبراني وغيره أن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن عبدٌ حتىٰ أكون أحبّ إليه من نفسه ، وتكونُ عترتي أحبّ إليه من عترته ، وأهلي أحبّ إليه من أهله ، وذاتي أحبّ إليه من ذاته » .

وأخرج الطبراني أن النبي ﷺ قال : « من اصطنع لأحدٍ من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها في الدنيا فعليَّ مكافأته غداً يوم القيامة إذا لقيني » .

وأخرج ابن النجار في تاريخه عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لكل شيء أساس وأساس الإسلام حبّ أصحاب رسول الله ﷺ وحبُّ أهل بيته » .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتىٰ يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن جسده فيم أبلاه ، وعن ماله فيم أنفقه ومن أين اكتسبه ، وعن حبنا أهل البيت » .

وقال رسول الله ﷺ : « خمسٌ من أوتيهُن لم يُعذر علىٰ ترك عمل الآخرة زوجةٌ صالحة ، وبنون أبرارٌ ، وحسن مخالطة الناس ، ومعيشة في بلده ، وحبُّ آل محمد ﷺ » .

كل هذا هو الدافع وراء حب الصحابة والأئمة الأعلام وبقية المسلمين لآل بيت رسول الله ﷺ ، وقد جاء الحديث في ذلك بشيء من الإسهاب ، مثال ذلك أن الإمام أبا حنيفة النعمان رضي الله عنه والىٰ إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم

جميعاً ، بل أفتىٰ الناس بلزوم وجودهم معه ومع أخيه محمد ، وكان ذلك سبباً في سجنه رضي الله عنه!![1] .

وهذا الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة والىٰ إبراهيم بن زيد بن علي زين العابدين رضي الله عنهم جميعاً ، وأفتىٰ الناس بلزوم وجودهم معه ، واختفىٰ من أجله عدة سنين!!

وأما الإمام الشافعي رضي الله عنه ، فقد حُمل إلى بغداد مكبلاً بالقيود بسبب شدة ولائه لآل الرسول ﷺ ، ووقع له في ذلك أمور يطول شرحها ، بل بلغ معه الحال في محبة آل البيت إلىٰ أن نسبه أهل الزيغ والضلال إلىٰ الرفض .

روىٰ ابن السبكي في طبقاته ، أن الربيع بن سليمان ـ صاحب الشافعي ـ قال : خرجنا مع الشافعي من مكة نريد منىٰ ، فلم ينزل وادياً ولم يصعد شعباً إلا وهو يقول :

يا راكباً قف بالمحصّب من منىً ... واهتف بقاعد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلىٰ منىً ... فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبُّ آل محمدٍ ... فليشهد الثقلان أني رافضي

وقد نصّ الشافعي رضي الله عنه علىٰ فريضة محبة آل البيت بقوله :

يا آل بيتِ رسول الله حُبُّكمُ ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكمُ من عظيم الفخر أنكمُ ... من لم يُصَلِّ عليكم لا صلاة له

ومن يسمع هذا الكلام وأمثاله هل يجرؤ أن يبغض واحداً من آل

---

(١) للتوسع يراجع : الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي : ٢٥٨ـ٢٦٠ .

بيت رسول الله ﷺ؟! الذين قال فيهم سيدنا رسول الله : « استوصوا بأهل بيتي خيراً فإني أخاصمكم عنهم غداً ، ومن أكن خصمه أخصمه الله ، ومن أخصمه الله أدخله النار » .

وأخرج أهل السنن : أن بنت أبي لهب ، لما هاجرت إلىٰ المدينة قيل لها : لن تغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار! فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاشتد غضبه ، ثم قال علىٰ المنبر : « ما بال أقوامٍ يؤذوني في نسبي وذوي رحمي ، ألا ومن آذىٰ نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذىٰ الله » .

وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً : « سألته أن يثبت قائمكم ، وأن يُعلِّم جاهلكم ، ويُهدي ضالّكم ، فلو أن رجلاً صعد بين الركن والمقام فصلىٰ وصام ثم مات وهو مبغضٌ لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار » .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله قال : خطبنا رسول الله ﷺ ، فسمعته يقول : « أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً » .

وعن أبي سعيد الخدري ـ كما في المستدرك للحاكم ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار » .

وفي مسند الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال : « من أبغض أهل البيت فهو منافق » .

وقال صلوات الله عليه : « حُرّمت الجنة علىٰ من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي » .

وكذلك انتبه العلماء العاملون إلىٰ أن محبة آل البيت لا تجدي نفعاً إذا خالطها بغض أصحاب رسول الله ﷺ . قال العلامة النبهاني رحمه الله تعالىٰ :

(إن أصحابه ﷺ قد صحبوه في السّراء والضرّاء ، ولازموه في الشدة والرخاء ، وفدوه بالأموال والأرواح ، وجالدوا أمامه بالسيوف والرماح ، ووالوا من والاه ، وعادوا من عاداه ، ولو كان آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، وكانوا يحبون الخير لأقارب رسول الله أكثر من أقارب أنفسهم .

هذا سيدهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما أسلم أبوه يوم الفتح ، وهنأه رسول الله بذلك قال : والله لإسلام أبي طالب كان أحب إليَّ من إسلامه ، وما ذاك إلا لأني أعلم أنه أحب إليك يا رسول الله!

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أسلم العباس عم النبي ﷺ قال : والله لإسلامه أحبّ إليّ من إسلام الخطّاب ، لأنه أحب إلىٰ رسول الله ﷺ)[1] .

وقال الفخر الرازي : (قوله تعالى : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ : ٢٣] . فيه منصب عظيم للصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم ، لأنه تعالىٰ قال : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة : ١٠ـ ١١] . فكل من أطاع الله كان مقرباً عند الله تعالىٰ ، فدخل تحت قوله : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ .

والحاصل أن هذه الآية : تدل علىٰ وجوب حب آل رسول الله ﷺ ، وحبّ أصحابه ، وهذا المنصب لا يسلم إلا علىٰ قول أصحابنا أهل

---

(١) الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ : ٢٢١ـ٢٢٢ .

السنة والجماعة الذين جمعوا بين حب العترة والصحابة ، قال ﷺ : « مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوحٍ من ركب فيها نجا » .

ونحن الآن في بحر التكليف ، وتضربنا أمواج الشبهات والشهوات ، وراكب البحر يحتاج إلىٰ أمرين : أحدهما السفينة الخالية من العيوب والثقب ، والثاني : الكواكب الظاهرة الطالعة النيرة ، فإذا ركب تلك السفينة ، ووقع نظره علىٰ تلك الكواكب ، كان رجاء السلامة غالباً ، فلذلك ركب أصحابنا أهل السنة سفينة حب آل محمد ﷺ ، ووضعوا أبصارهم علىٰ نجوم الصحابة ، فرجوا من الله تعالىٰ أن يفوزوا بالسلامة والسعادة في الدنيا والآخرة)[1] .

وهكذا تناقلت الأجيال جيلاً بعد جيل الأحاديث النبوية التي تبين فضائل الصحابة ، وقد تحدثت عن ذلك في مكان آخر[2] . من ذلك قوله صلوات الله عليه فيما رواه الطبراني : « إن الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً فمن سبّهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » .

وقال ﷺ : « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذىٰ الله ، ومن آذىٰ الله يوشك أن يأخذه » .

وقال صلوات الله عليه : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة من شتم الأنبياء ثم أصحابي ثم المسلمين » .

---

(١) التفسير الكبير ـ مفاتيح الغيب ـ : ١٤/١٦٨ .

(٢) فضائل الصحابة في ميزان الشريعة الإسلامية : الفصل الثاني ، للمؤلف .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا رأيتم الذين يسبّون أصحابي فقولوا لعنة الله على شرّكم » .

وقال ﷺ : « شفاعتي مُباحة إلا لمن سبّ أصحابي » .

وشرح ذلك علماء السلف الصالح من هذه الأمة ، من ذلك ما قاله العلامة ابن حجر الهيتمي في كتابه (أسنىٰ المطالب في صلة الأقارب) :

يلزم المسلم أن يتأدب مع صحابة رسول الله ﷺ وأهل بيته بالرضا عنهم ، ومعرفة فضلهم وحقهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، مع نزاهة كل منهم عن ارتكابه شيئاً يعتقد حرمته ، بل كل منهم مجتهد ، فهم مجتهدون مثابون ، المحقّ منهم بعشرة أجور ، والمخطىء بأجر واحد والعقاب واللوم والنقص مرفوع عن جميعهم فتفطن لذلك وإلا زلت قدمك وحق هلاكك وندمك!

وقال السيوطي رحمه الله تعالىٰ في رسالة له سماها : (إلقام الحجر لمن زكىٰ ساب أبي بكر وعمر) :

اتفق المسلمون علىٰ فسق ساب مطلق الصحابة إذا لم يستحل ذلك وإذا استحله فهو كافر ، لأن أدنىٰ مراتبه أنه محرم وفسق ، واستحلال الحرام كفر إذا كان تحريمه معلوماً من الدين بالضرورة ، وتحريم سب الصحابة كذلك!

. . . وهو من الكبائر ، لأن الكبيرة علىٰ ما صححه المتأخرون : كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ، ورقة الديانة ، وممن صحح ذلك ابن السبكي في جمع الجوامع ، وسبهم كذلك ، وما أجرأ فاعله علىٰ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ وأقلّ اكتراثه بالدين .

أظنّ الخبيث لعنه الله أن مثل هؤلاء يستحق السب ، وهو مبرأ تقي نقي مستأهل للمدح والثناء ، كلا والله بفيه الحجر ، بل إذا ظن أنهم يستحقون السبّ اعتقدنا أنه يستحق الحرق وزيادة!!

وقال العلامة المناوي في شرح قول النبي ﷺ : « من سبّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

هذا شامل لمن لابس القتل منهم ، لأنهم مجتهدون في تلك الحروب متأولون فسبهم كبيرة ، ونسبتهم إلىٰ الضلال أو الكفر كفر!!

وأما سب أحد الشيخين أو أحد الختنين رضي الله عنهم جميعاً ، فينقل السيوطي في رسالته السابقة عن الإمام السبكي فيقول :

ورأيت الشيخ تقي الدين السبكي صنف كتاباً سماه (خيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي) بسبب رافضي وقف في الملأ وسبّ الشيخين وعثمان وجماعة من الصحابة ، فاستتيب فلم يتب ، فحكم المالكي بقتله وصوّبه السبكي فيما فعل ، وألف في تصويبه الكتاب المذكور ، وذكر فيه عن القاضي حسين من أصحابنا وجهين فيمن سبّ أحد الشيخين أو الختنين :

يكفروا وإن لم يستحل ، لأن الأمة أجمعت علىٰ إمامتهم[1] .

والثاني : يفسق ولا يكفر ، ثم نقل الحنفية نقولاً كثيرة بعضها بالتكفير ، وبعضها بالتضليل ، ثم مال السبكي إلىٰ تصحيح التكفير لمآخذ ذكرها ، ثم نقل عن المالكية والحنابلة نقولاً كذلك!!

وصدق رسول الله ﷺ عندما قال : « رحم الله أبا بكر ، زوجني

---

(١) للتوسع في ذلك يراجع : الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة لابن حجر الهيتمي : ٢٥٠ـ٢٥٥ .

ابنته ، وحملني إلىٰ دار الهجرة ، وأعتق بلالاً من ماله وما نفعني مال في الإسلام ما نفعني مال أبي بكر ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرّاً ، لقد تركه الحق وما لَهُ من صديق ، رحم الله عثمان تستحييه الملائكة ، وجهّز جيش العسرة ، وزاد في مسجدنا حتىٰ وسعنا ، رحم الله علياً ، اللهم أَدِرِ الحق معه حيث دار » .

ولعل ما وصل إليه النبهاني رحمه الله من خلاصة الحب لآل البيت والصحابة رضي الله عنهم فيه الكثير من الفوائد ، قال : (جميع ما ثبت من فضل الصحابة رضوان الله تعالىٰ عليهم ، هو في الحقيقة من فضائل أهل بيت النبوة زيادة علىٰ ما نالوه من انتسابهم إلىٰ حضرة صاحب الرسالة من الفضل ، فإنهم صحابة جدهم الأعظم ﷺ لا صحابة نبي سواه ، وهم وإن كانوا في أنفسهم فضلاء نبلاء حائزين من كل وصف جميل محضه ولبابه ، إلا أن أفضليتهم علىٰ من سواهم من الأمة إنما هي لفوزهم بتلك الصحبة الشريفة التي لا يوازيها عمل عامل ، ولا اجتهاد مجتهد ، وما يلزمها من اقتباس الأنوار والأسرار ، فضلاً عن فدائهم له صلوات الله عليه بكل ما قدروا عليه من نفس ومال وولد ووالد وخوض كثير منهم أَمامه في غمار الحروب ، ومخالطتهم المنايا ، حتىٰ ظهر دين الله المبين ، وخفقت أعلامه في العالمين ، وإلا فإنا نجد في التابعين فمن بعدهم من هو أعلم وأعبد وأورع وأزهد وأكثر حرباً وجهاداً وطعاناً وجلاداً من بعض صغار الصحابة الذين لم تطل صحبتهم له ﷺ ، ولم يلازموه في كثير من مواطنه الشريفة وغزواته المظفرة .

ومع هذا فأقلهم فضلاً أفضل من أفضل التابعين ، ومن بعدهم إلىٰ يوم القيامة ، فتلخص أنه ﷺ هو الأصل الذي تفرع عنه فضل أصحابه رضوان الله تعالىٰ عنهم ، وكذا جميع ما ثبت لأهل البيت من الفضل هو

أيضاً يحسب من فضائل الصحابة الكرام زيادة علىٰ ما اتصفوا به من الفضل والفخر بصحبتهم له صلىٰ الله عليه وسلم ، فإنهم ذرية نبيهم الذي استنقذهم من ظلمات الشرك ، وزجّهم في أنوار التوحيد ، وفازوا بما فازوا به بسببه من السيادة الدنيوية والسعادة الأبدية ، وذريته ﷺ بعضه ، فكما أن فضل الكل وهو النبي ، هو زيادة في فضل أصحابه الذي هو متفرع عن فضله ، فكذلك بعضه وهم الذرية الطاهرة ، فإن فضلهم فرع عن فضله ﷺ .

فقد علمت أن أهل الفضلين فضل الذرية ، وفضل الصحابة ، هو رسول الله ﷺ ، وهما فرعان عن أصل واحد ، فمهما حصل لأحدهما من مدح أو ذم لابدّ وأن يتعدىٰ إلىٰ الآخر .

فلعنة الله علىٰ من فرق بينهما بولاء بعضهما ومعاداة بعضهم الآخر ، فإن من عادىٰ أحدهما لم ينفعه ولاء الآخر ، وكان عدو الله ورسوله ولمن التزم ولاءه أيضاً ، وانظر إلى سيدنا زيد بن علي زين العابدين رضي الله عنهما حين خرج على هشام بن عبد الملك فقد بايعه وقتئذٍ ناس كثير من أهل الكوفة ، وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبي بكر وعمر لينصروه ، فقال : كلا بل أتولاهما ، فقالوا : إذاً نرفضك ، فقال : اذهبوا فأنتم الرافضة ، فسموا رافضة من حينئذٍ ، وجاءت طائفة وقالوا : نحن نتولاهما ونتبرأ ممن يتبرأ منهما فقبلهم ، وقاتلوا معه فسموا الزيدية ، غير أنهم خلف من بعدهم خلف ، خرجوا عن مذهب زيد ، وبقي عليهم الاسم فقط .

فمن أراد سعادة الدارين ، فعليه بمحبة الطرفين ملتزماً في ذلك الطريق الشرعي غير حائد عن سنن السلف والخلف ، وهو مذهب أهل السنة السنية ، وهداة الملة الحنيفية ، أماتنا الله علىٰ ذلك غير مبدلين ، ولا مغيرين ، ولا مفتونين ، ولا فاتنين!!

قال ابن السبكي في الطبقات : قال الإمام عبد الله بن المبارك رضي الله تعالىٰ عنه :

إني امرؤ ليس في ديني لغامزه ... لينٌ ولست علىٰ الإسلام طعّانا
فلا أسبّ أبا بكر ولا عمراً ... ولنْ أسبّ ـ معاذ الله ـ عثمانا
ولا الزبيرَ حواريَّ الرسول ولا ... أُهْدي لطلحة شتماً عزّ أو هانا
ولا أقولُ عليٌّ في السحاب إذاً ... قد قلتُ والله ظلماً ثمّ عدوانا

ثم نردد مع الإمام يوسف النبهاني رحمه الله هذا الاعتقاد المتزّن ، الوسط ، المعتدل ، في آل البيت والصحابة معاً :

آل طه يا آل خير نبيٍّ ... جدُّكم خيرةٌ وأنتم خيارُ
أذهب الله عنكم الرجس أهل الـ ... ـبيت قِدْماً فأنتمُ الأطهارُ
لم يسلْ جدّكم علىٰ الدّين أجراً ... غير وُدِّ القربىٰ ونعم الإجارُ
حُبُّكمْ جُنّةٌ لكل فؤادٍ ... فيه حُبُّ الأصحابِ والبغض نارُ
رضي الله عنكمُ وأتمّ الـ ... ـنور فيكمْ وإن أبىٰ الكفّارُ[1]

أختم هذا الفصل ببعض أقوال كبار الصحابة في آل بيت رسول الله صلوات الله عليه[2] .

ذلكم الصدّيق أبو بكر يدعو المسلمين إلىٰ الاقتداء بأهل البيت ، ولزوم نهجهم ، وتقديرهم تقديراً يليق بمكانتهم السامقة التي رفعهم إليها الله ورسوله ، فيقول :

---

(١) ـ بتصرف واختصار ـ من الشرف المؤبد : ٢٣٢ـ٢٦٩ .
(٢) للتوسع يراجع : أهل بيت رسول الله لمحمد علي إسبر : ٤٦ـ٨١ .

ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته[1] .

ويُقسم بالله إن قرابة الرسول ﷺ أحبُّ إليه من قرابته ، فيقول : والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله أحبُّ إليَّ من أن أصل قرابتي[2] .

وانظر إليه يحمل الحسن بن علي علىٰ رقبته وهو يقول مغتبطاً ضاحك القسمات :

بأبي شبيهٌ بالنبي ليس شبيهاً بعلي!! وعلي يضحك[3] .

ويعطي الصدّيق رضي الله عنه وصفاً دقيقاً لمنزلة علي وفضله ، فيقول ذات مرة فيما رواه ابن حجر والدارقطني ـ عن الشعبي قال : بينما أبو بكر جالسٌ إذا طلع عليّ ، فلما رآه قال : من سرّه أن ينظر إلىٰ أعظم الناس منزلة ، وأقربهم قرابة ، وأفضلهم حالة ، وأعظمهم حقاً عند رسول الله ، فلينظر إلىٰ هذا الطالع[4] .

وهكذا ندور مع الناس الذين يسألون : من كان أحبَّ الناس إلىٰ رسول الله ﷺ؟

ولا ريب أن الجواب يكون مضبوطاً إذا كان من إحدىٰ أزواج النبي ﷺ .

تلكم السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهي من أوثق الناس صلةً

---

(١) صحيح البخاري : ٥/٢٦ .
(٢) صحيح البخاري : ٥/٢٦ .
(٣) صحيح البخاري : ٥/٣٣ .
(٤) الصواعق المحرقة : ١٧٧ ـ ١٧٨ .

برسول الله ، فعن جُمَيْع قال : « دخلت مع أمي علىٰ عائشة ، وأنا غلام فذكرَتْ لها علياً ، فقالت :

ما رأيت رجلاً كان أحبَّ إلىٰ رسول الله ﷺ منه ، ولا امرأةً أحبَّ إلىٰ رسول الله من امرأته »[1] .

ويجزم سيدنا عمر رضي الله عنه بأنه لا يكمل شرفٌ لأحدٍ مهما سما قدرُهُ إذا لم يُوال علي بن أبي طالب رضي الله عنه!!

قال سعيد بن المسيب رحمه الله : قال عمر رضي الله عنه : تحبّبوا إلىٰ الأشراف وتوددوا ، واتقوا علىٰ أعراضكم من السَّفَلَة ، واعلموا أنه لا يتم شرفٌ إلا بولاية علي[2] .

ولنتابع مع سيدنا عمر رضي الله عنه ، ها هو يأتيه رجلان يختصمان في شأن ما ، فيلجأ عمر إلىٰ علي ويقول له : اقض بينهما يا أبا الحسن .

ويقضي علي رضي الله عنه بينهما ، ولكن الحكم لم يَرُقْ لأحدهما ، فيتلفظ بكلمات يرىٰ فيها الفاروق مساساً بعلي!! فيثور عمر علىٰ الرجل وهو يقول له : لك الويل ، إن علياً مولاي ومولاك . لكن من أين لعمر كل هذا؟!

روىٰ الترمذي والنسائي وابن حجر حديثاً متصلاً إلىٰ رسول الله ﷺ :

« ما تريدون من علي ، إن علياً مني وأنا من علي ، وهو وليُّ كل مؤمن بعدي »[3] .

---

(١) الخصائص للإمام النسائي : ٢١١ .

(٢) الصواعق المحرقة : ١٧٨ ، الخصائص : ٤٣ .

(٣) الخصائص للإمام النسائي : ١٦٦ ، الصواعق المحرقة : ١٧٩ .

ويتكرر مثل هذا الموقف من عمر رضي الله عنه ، قال ابن حجر الهيتمي : أخرج الدارقطني أن الحسن بن علي رضي الله عنهما استأذن علىٰ عمر ، فلم يأذن له ، فجاء عبد الله بن عمر فلم يأذن له ، فمضى الحسن ، فقال عمر : عليّ به ، فجاء فقال : يا أمير المؤمنين ، قلت : إن لم يُؤذنْ لعبد الله لا يؤذن لي!!

فقال : أنت أحق بالإذن منه[1] .

وفي خلافة الفاروق عمر رضي الله عنه يصرّح بكلام خطير ، لا يتحدث به إلا من هو أهل لتحمل المسؤولية ، فيقول : (أقضانا علي)[2] . ويقول : (لولا علي لهلك عمر)[3] .

وتحدث في زمن الخلفاء الراشدين قضايا عويصة لا تجد حلاً إلا عند أبي الحسن ، مثال ذلك ما رواه ابن القيم رحمه الله قال :

قال جعفر بن محمد رضي الله عنهما : أُتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأةٍ قد تعلّقتْ بشاب من الأنصار وكانت تهواه ، فلما لم يساعدها احتالت عليه فأخذت بيضةً ، فألقت صُفرتَها ، وصبّت البياض علىٰ ثوبها وبين فخذيها ، ثم جاءت إلىٰ عمر صارخةً فقالت : هذا الرجل غلبني علىٰ نفسي ، وفضحني في أهلي ، وهذا أثر فعاله .

---

(١) تاريخ بغداد : ١/ ١٤١ ، كنز العمال : ٧/ ١٠٥ ، الصواعق المحرقة : ١٨٠ .

(٢) صحيح البخاري : ٦/ ٢٣ ، الطبقات الكبرىٰ لابن سعد : ٢/ ٣٣٩ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر : ٣/ ٣٨ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٧١ .

(٣) سنن أبي داود : ٢٨/ ١٤٧ ، وللتوسع في ذلك يراجع :
الرياض النضرة للمحب الطبري : ٢/ ١٧٠ ، الدر المنثور للسيوطي : ٣/ ١٢٧ ، صحيح مسلم : ٧/ ١٢٣ ، سنن الترمذي : ٥/ ٣٤ ، تاريخ الأمم والملوك للطبري : ٢/ ١١٧٢ .

فسأل عمر النساء ، فقلن له : إن ببدنها وثوبها أثر المني ، فهمَّ بعقوبته ، فجعل الشابُّ يستغيثُ ويقول : يا أمير المؤمنين ، تثبّتْ في أمري ، فوالله ما أتيتُ فاحشةً ، وما هممتُ بها ، هي راودتني عن نفسي فاعتصمتُ .

فقال عمر : يا أبا الحسن ، ما ترىٰ في أمرهما؟

فنظر عليّ إلىٰ ما علىٰ الثوب ، ثم دعا بماءٍ حارٍ شديد الغليان ، فصبّ علىٰ الثوب ، فجمد ذلك البياض ، ثم أخذه واشتمهُ ، فعرف رائحة البيض ، وزجر المرأة فاعترفت!![1] .

ويروي الشيخ مؤمن حسن الشبلخي رحمه الله فيقول : رُويَ أن رجلاً أُتي به إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان صَدَرَ منه أن قال لجماعة من الناس وقد سألوه : كيف أصبحت؟ قال : أصبحت أحبُّ الفتنة ، وأكره الحق ، وأصدِّق اليهود والنصارىٰ ، وأومن بما لم أره ، وأُقرُّ بما لم يُخلقْ!!

فأرسل عمر إلىٰ علي رضي الله عنهما ، فلما جاء أخبره بمقالة الرجل ، فقال : صدق .

وأما قوله : يحب الفتنة ، فقد قال الله تعالىٰ : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨] .

وأما قوله : يكره الحق : يعني الموت ، قال تعالىٰ : ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [ق : ١٩] .

وأما قوله : ويُصدق اليهود والنصارىٰ ، قال تعالىٰ : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية : ٤٧ .

﴿لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة : ١١٣] .

ويؤمن بما لم يره ، يؤمن بالله عز وجل .

ويُقرُّ بما لم يُخلق ، يعني الساعة ، فقال عمر : أعوذ بالله من معضلةٍ لا عليٌّ بها!!

قال سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ : كان عمر رضي الله عنه كثيراً ما يقول : اللهم لا تُبقني لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن[1] .

وفي زمن الخليفة الأول أبي بكر رضي الله عنه حدثت مشكلة من هذه المشكلات ، وكان الحلّ عند أبي الحسن رضي الله عنه :

عن محمد بن المنكدر ، أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كتب إلىٰ أبي بكر أنه وُجِدَ رجلٌ في بعض ضواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة ، وأنَّ أبا بكر جمع لذلك ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كان فيهم علي بن أبي طالب أشدهم يومئذٍ قولاً ، فقال : إن هذا ذنبٌ لم تعمل به أمةٌ من الأمم إلا أمة واحدة ، خُضع بها ما قد علمتم ، أرىٰ أن تحرّقوه بالنار ، فكتب إليه أبو بكر أن يُحرّق بالنار!![2] .

وفي زمن الخليفة عثمان رضي الله عنه تحدث قصة عجيبة ، يرويها الإمام السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) في ختام شرح قول الله تعالىٰ : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف : ١٥] . قال : وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن بعجة بن عبد الله الجهني ، قال : تزوج رجلٌ منّا امرأةً من (جهينة) ، فولدت له تماماً لستة أشهر ، فانطلق زوجها إلىٰ عثمان بن عفان فأمر برجمها .

---

(١) نور الأبصار : ٨٨ .

(٢) كنز العمال : ٣/ ٩٩ .

فبلغ ذلك علياً رضي الله عنه ، فأتاه ، فقال : ما تصنع؟

قال : ولدت تماماً لستة أشهر ، وهل يكون ذلك؟؟

قال علي : أما سمعت الله يقول : ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف : ١٥] .

وقال : ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

فكم تجده بقي إلا ستة أشهر؟؟

فقال عثمان : والله ما فطنت لهذا ، عليّ بالمرأة ، فوجدوها قد فُرغ منها ، وكان من قولها لأختها : يا أخيّة لا تحزني ، فوالله ما كشف فرجي أحد قط غيره .

قال : فشبّ الغلام بَعْدُ ، فاعترف الرجل به ، وكان أشبه الناس به[1] .

ومثال آخر ، قصة جرت زمن الفاروق عمر رضي الله عنه ، يرويها المتقي الهندي الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

وردت علىٰ عمر بن الخطاب واردةٌ قام منها وقعد ، وتغيّر ، وتربّد ، وجمع لها أصحاب النبي ﷺ فعرضها عليهم ، وقال : أشيروا عليَّ .

فقالوا جميعاً : يا أمير المؤمنين ، أنت المفزع وأنت المنزع .

فغضب عمر وقال : اتقوا الله ، وقولوا قولاً سديداً يُصلح لكم أعمالكم .

---

(١) الدر المنثور : ٧/ ٤٤١ .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ما عندنا مما تسأل عنه شيء .

فقال : والله إني لأعرف أبا بجدتها ، وابن نجدتها ، وابن مفزعها ، وابن منزعها .

فقالوا : كأنك تعني ابن أبي طالب .

فقال عمر : لله هو ، وهل طفحت حُرّةٌ بمثله وأبْرَعتهُ . .؟؟ انهضوا بنا إليه .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، أتصير إليه؟ يأتيكَ هو .

فقال : هيهات ، هناك شجنةٌ من بني هاشم ، وشجنةٌ من الرسول ﷺ، وأثرةٌ من علم ، يُؤتىٰ لها ولا يأتي ، في بيته يُؤتىٰ الحَكَمُ .

فعطفوا نحوه ، فألفوه في حائطٍ له وهو يقرأ : ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة : ٣٦] . ويرددها ويبكي ، فقال عمر لشريح : حدِّث أبا الحسن بالذي حدثتنا به .

فقال شريح : كنت في مجلس الحكم ، فأتىٰ هذا الرجل ، فذكر أن رجلاً أودعه امرأتينْ : حرة مهيرة ، وأم ولد ، فقال له : أنفق عليهما حتىٰ أقدم ، فلما كان في هذه الليلة وضعتا جميعاً إحداهما ابناً ، والأخرىٰ بنتاً ، وكلتاهما تدّعي الابن ، وتنفي البنت من أجل الميراث ، فقال له : بم قضيتَ بينهما؟؟

فقال شريح : لو كان عندي ما أقضي به ، لم آتكم بهما!

فأَخذ علي رضي الله عنه نبتةً من الأرض ، فرفعها ، فقال : إن القضاء في هذا أيسر من هذه ، ثم دعا بقدح ، فقال لإحدىٰ المرأتين : احلبي ، فحلبت ، فوزنه ، ثم قال للأخرىٰ : احلبي ، فحلبت ، فوجده علىٰ النصف من لبن الأولىٰ .

فقال لها : خُذي أنت ابنتك ، وقال للأخرىٰ : خذي أنت ابنكِ!

ثم قال لشريح : أما علمت أن لبن الجارية علىٰ النصف من لبن الغلام ، وأن ميراثها نصف ميراثه ، وأن عقلها نصفُ عقله ، وأن شهادتها نصفُ شهادته ، وأن ديتها نصفُ ديته ، وهي علىٰ النصف من كل شيء!؟

فأُعجب به عمر إعجاباً شديداً ، ثم قال : أبا حسن ، لا أبقاني الله لشدةٍ لست لها ، ولا في بلد لست فيه!![1] .

نعم ، هكذا كان حبّ السلف الصالح لآل بيت رسول الله ، وذلك بعد أن عرفوا من خلال القرآن وأحاديث رسول الله صلوات الله عليه مكانتهم و. . . ، لذلك فلا عجب مطلقاً أن تكون العلاقة وطيدة وحميمة بين الصحابة والآل ، بل هذا هو الواجب والفرض لأن محبتهم وتوقيرهم من صميم الدين وصلبه .

يروي الحافظ الحاكم الحسكاني في ذيل قول الله تعالىٰ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴾ [الطور : ٢١] . هذه القصة الرائعة :

حدثنا أبو النصر محمد بن مسعود بسنده عن الوليد بن محمد بن زيد بن جدعان ، عن عمه .

قال : قال ابن عمر رضي الله عنهما : إنا إذا عدّدنا قلنا : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان .

فقال رجلٌ : يا أبا عبد الرحمن ، فعليٌّ؟؟

فقال ابن عمر : ويحك ، علي من أهل البيت الذين لا يُقاس بهم

---

(١) كنز العمال : ٣/ ١٧٩ .

أحد ، عليٌّ مع رسول الله في درجته ، إن الله يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴾ [الطور : ٢١] . ففاطمة مع رسول الله في درجته ، وعلي معهما[١] .

وكذلك الإمام ابن الجوزي الحنبلي نراه يرفع علم الإخلاص والولاء لأهل البيت ، فيقول :

أبـــداً تحـــنّ إليكـــم الأرواح ... ولكـم غـدوٌّ فـي العـلا ورواحُ
يـا سـادة! لـولاهـم مـا لاح فـي ... أُفُـقِ المكـارم للفـلاح صبـاحُ
مـا الفضـل إلا مـا أحـلّ بحبكـم ... وعليكـم مـن نـوره مصبـاحُ
وحماكم حَرَمُ النجاة ، وحُبّكم ... للقـاصـديـن ، وللعفـاة مبـاحُ
وإليكـم كـلُّ الفضـائـل تنتمـي ... جـاءت أحـاديـث بـذاك صحـاحُ
يكفيكـــم يـــا آل طـــه مفخـــراً ... أن العُـلا عِقْـد لكـم ووشـاحُ
الله خصّكـــم بـــأشـــرف رتبـــة ... العجـز عـن إدراكهـا إفصـاحُ
وإذا تـــرنمـــت الأنـــام بحبّكـــم ... فلسـان ذكـري بـالثنـا صـدّاحُ[٢]

نسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا حبّه ، وحبّ نبيه ، وحبّ آل بيته ، وحب صحابته ، وحبّ التابعين ، وحب جميع المؤمنين . وأن ينزع الحقد والبغضاء من قلوبنا أجمعين إنه علىٰ ما يشاء قدير .

* * *

(١) شواهد التنزيل : ٢/ ١٩٧ ، الرياض النضرة للمحب الطبري : ٢/ ٢٠٨ .
(٢) مولد العروس لابن الجوزي : ٢٧ ـ ٢٨ . .